

أضواء البيان

@ 177 لك حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا { ، وفي سورة (يونس)
، في الكلام على قوله تعالى : { إِنَّ السَّاعِدِينَ حَقَّقَتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةً رَبِّكَ لَا
يُؤْمِنُونَ } الآية (01 / 69) ، وفي غير ذلك . { وَلَا يَسْتَخِفُّنَاكَ السَّاعِدِينَ لَا
يُوقِنُونَ } . قد قدمنا في سورة (بني إسرائيل) ، في الكلام على قوله تعالى : { لَا
تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا } ، أن اللَّه
تعالى قد بيَّن في بعض الآيات القرآنية أنه يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب لا
يريد به نفس رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريد به التشريع . .

وبيَّننا أن من أصرح الآيات في ذلك قوله تعالى مخاطبًا له صلى الله عليه وسلم : { إِمَّا
يَبْدُلُغَنَّا عِنْدَكَ الْكُبْرَ أَوْ حَدُّهُمَّا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَّا أُفٍّ }
، ومعلوم أن والديه قد ماتا قبل نزول : { إِمَّا يَبْدُلُغَنَّا عِنْدَكَ الْكُبْرَ
أَوْ حَدُّهُمَّا أَوْ كِلَاهُمَا } ، بزمان طويل ، فلا وجه البتة لاشتراط بلوغهما ، أو بلوغ
أحدهما الكبر عنده ، بل المراد تشريع برِّ الوالدين لأُمَّته ، بخطابه صلى الله عليه وسلم .

واعلم أن قول من يقول : إن الخطاب في قوله : { إِمَّا يَبْدُلُغَنَّا عِنْدَكَ الْكُبْرَ
أَوْ حَدُّهُمَّا أَوْ كِلَاهُمَا } ، لمن يصح خطابه من المكلفين ، وأنه كقول طرفه بن العبد
: واعلم أن قول من يقول : إن الخطاب في قوله : { إِمَّا يَبْدُلُغَنَّا عِنْدَكَ الْكُبْرَ
أَوْ حَدُّهُمَّا أَوْ كِلَاهُمَا } ، لمن يصح خطابه من المكلفين ، وأنه كقول طرفه بن العبد
: % (ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً & ؛ .

خلاف الصواب . .

والدليل على ذلك قوله بعد ذكر المعطوفات ، على قوله : { فَلَا تَقُلْ لَهُمَّا أُفٍّ } ،
{ ذَالِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ } ، ومعلوم أن قوله : {
ذَالِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ } خطاب له صلى الله عليه وسلم ، كما ترى .
وذكرنا بعض الشواهد العربية على خطاب الإنسان ، مع أن المراد بالخطاب في الحقيقة غيره .

وبهذا تعلم أن مثل قوله تعالى : { وَلَا يَسْتَخِفُّنَاكَ السَّاعِدِينَ لَا يُوقِنُونَ }
، وقوله : { لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ } ، وقوله : { وَلَا تُطِيعْ
مِنْهُمْ عَائِمًا أَوْ كَفُورًا } ، وقوله : { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا

ءاخَرَ { ، يراد به التشريع لأُمَّتِه